الكلمة الختامية للدورة الشرعية التي أقيمت في أحد مراكز المجاهدين



أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

{لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الكِتَابَ وَالمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالغَيْبِ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} {الحديد:25}

أقيمت هذه الدورة في أحد مراكز المجاهدين, وفي ثغر من ثغور الرباط وقد شملت الدورة الدروس الآتية:

الأول: أحكام التجويد.

الثاني: دراسة فقه الطهارة, والصلاة, والصيام.

الثالث: دراسة كتاب الجامع من بلوغ المرام, مع حفظ أربعين حديثاً منه.

الرابع: دروس متفرقة من السيرة النبوية وتوجيهات تربوية متفرقة.

الخامس: مراجعة المحفوظ من كتاب الله عز وجل.

۞ بسم الله الرحمن الرحيم ۞

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات, والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

فاليوم هو الثاني عشر من شهر جمادى الثاني لعام **1428** لهجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم. وهذا اليوم هو آخر أيام الدورة الشرعية التي نسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يدَّخر لنا أيامها ننتفع بها يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم, وكما قلت لكم في أول الدورة؛ فإن مثل هذه الدورات هي مثالٌ لعمر الإنسان الذي له بداية ونهاية، ونهايته بحسب اجتهاده في عمره؛ فالدورة كما رأينا كانت تحتاج منا إلى اجتهاد ومدارسة ومراجعة حتى ينال منها الإنسان ما يريد من العلم الذي جلس أصلًا لطلبه، ومن فضل الله –عز وجل– علينا أن جمع لنا بين عبادة الجهاد وبين عبادة طلب العلم، وهذا من عزيز نعم الله –عز وجل– وهو الكريم المنَّان الجواد، أن يجمع الله –سبحانه وتعالى– لعبده بين أشرف وأعظم العبادات؛ فالجهاد –كما نعلم– هو أعظم العبادات؛ كما ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم بل كما جاء في كتاب الله عز وجل: {لَا يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ..}{النساء:**95**} إلى آخر الآية.

فمن انضم إلى جهاده التفرغ لطلب العلم ولو لأيام معدودات فليعلم أن هذا من فضل الله سبحانه وتعالى عليه, لماذا؟

لأننا إنما خلقنا أصلاً لعبادة الله –عز وجل–, قال الله –عز وجل :{وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} {الذاريات:**56**}، والعبادة هي تكاليف من الله –عز وجل– أي هي أمر ونهي, وما من عبادة من العبادات سواءً كانت صلاة أو صيامًا أو حجًا أو جهادًا إلا ولها أحكام يحتاج المسلم لأن يعرفها، فإذا يسر الله لك باب طلب العلم فاعلم أنما يسر لك عبادته على بصيرة؛ لأن الإنسان لابد أن يعبد الله، فإذا لم يعبد الله على علم وفهم وبصيرة وبينة فسيعبد الله قطعًا على جهل وعلى عماية والعياذ بالله, فهذه من نعم الله –سبحانه وتعالى– التي علينا أن نستشعرها في كل وقتٍ, ثم أن نجتهد في أداء شكرها حتى لا تضيع علينا، ونحن نعلم حديث النبي صلى الله عليه وسلم:" نعمتان مغبون فيهما كثيرٌ من الناس؛ الصحة والفراغ "، أنت بقيت في هذا البيت أو في هذا المركز طوال هذه المدة بعيدًا عن أهلك وبعيدًا عن إخوانك متفرغٌ لشيء واحد وهو طلب العلم؛ فهذه من النعم العظيمة التي يسرها الله عز وجل لك.

إذًا عبادة العلم –وهو عبادة بلا شك– وعبادة الجهاد هي من أعظم ما ييسره الله –سبحانه وتعالى– لعبده المؤمن, هذا هو الأمر الأول.

مما نستخلصه من هذه الدورة؛ هو أن الفصام الذي يحاول بعض الناس أن يختلقه بين عبادة الجهاد وبين طلب العلم هذا لا حقيقة له, يعني أن افتراض وجود جهادٍ بلا علم هذا غير صحيح وأن افتراض أن العالم أو طالب العلم لا يستطيع أن يجاهد هذا غير صحيح, لماذا؟

لأن الله سبحانه وتعالى أخبرنا عن حقيقة كتابه وقال: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} {النساء:**82**}، هذه هي آيات الله –عز وجل– التي في القرآن، فكما أن كتاب الله –سبحانه وتعالى– المنزل من عنده لا تعارض بين آياته ولا اختلاف بين أحكامه، فكذلك العبادات التي أمرنا الله –عز وجل– بها لا تعارض بينها, فهذا الأمر الذي حاول البعض أن يحدثه وأن يصطنعه وأن ينفخ فيه وأن الجهاد والعلم لا يلتقيان هذا غير صحيح، ودليله هو ما نعيشه نحن الآن، هذا بفضل

الله –عز وجل– دليل على أن طلب العلم يمكن أن يكون في ساحات الجهاد, وكم من الأحكام الفقهية التي لا تتعلق بالجهاد نزلت في ساحات الجهاد, منها آيات التيمم، أين نزلت آية التيمم؟

نزلت والنبي صلى الله عليه وسلم في طريقه راجع من غزوة من الغزوات.

ثم إن الله عز وجل أخبرنا بهذا وقال: {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ} {التوبة:122}.

إذًا تيسير الله لنا أن نجمع بين عبادة الجهاد وبين طلب العلم هذا من أعظم ما أكرمنا الله –سبحانه وتعالى– به هذا هو الأمر الأول الذي لا بد أن تتنبهوا إليه.

الشيء الآخر كما ذكرنا أنه لا تعارض بين طلب العلم وبين الجهاد في سبيل الله, ونحن كمجاهدين مطالبون بأن نتعلم أحكام ديننا كغيرنا من المسلمين, ولا أقصد بأحكام ديننا فقط ما يتعلق بعبادة الجهاد؛ لا, نحن مطالبون بأن نعرف أحكام الصلاة, أحكام الطهارة, أحكام الصيام, كل عبادةٍ أوجبها الله –عز وجل– على المؤمنين وفرضها فلا بد للمجاهد أن يعرف أحكامها، فإن المجاهد ليس شخصًا مستثنى من أحكام الله –عز وجل–، وليس شخصًا خارجًا عن التكاليف الشرعية، وإنما هو كغيره من المسلمين، فكما أننا في ساحات الجهاد نتعلم أحكام الجهاد وآدابه وقواعده وضوابطه، فكذلك نحن أيضًا مطالبون بأن نتعلم أحكام العبادات الأخرى؛ ما فائدة أن يجاهد المجاهد وأن يقاتل في سبيل الله وهو لا يحسن كيف يتوضأ!؟ وهو لا يحسن كيف يصلي!؟ وهو لا يحسن كيف يصوم!؟ ما فائدة هذا!!، يعني يعبد الله في جهاده على بصيرة، ويعبد ربه على عماية وغواية وضلالة في الصلاة وفي غيرها, هذا لا يمكن أن يكون.

فبضل الله –عز وجل– أن وفّقنا لأن نثبت حقيقةً وعملًا أن هذا لا تعارض بينه، كما أن كتاب الله لا اختلاف بين آياته، ولا تصادم بين أحكامه، فكذلك العبادات التي أمر الله –عز وجل– بها لا تعارض ولا اختلاف بينها.. واضح؟ جيد.

الأمر الثالث الذي أريد ان أنبه عليه, وافتحوا معي آذانكم، هو أن الشخص الذي أخذ هذه الدورة وتعلم ما فتح الله –سبحانه وتعالى– عليه فيها، لا يعني أنه تخرَّج منها ليكون فقيهًا ومفتيًا ومتصدِّرًا للمجالس يفتي بيجوز ولا يجوز وهذا حرام وهذا حلال، لا؛ إنما جلسنا هنا فقط لنتعلم أحكام الله حتى نعبد الله على بصيرة، أما مرتبة الفتوى ومرتبة هذا حلال وهذا حرام فهذه دونها مفاوز حتى يصلها الإنسان، هذه لا يمكن أن تُكتسب في شهرٍ ولا شهرين، ولا في سنةٍ ولا في سنتين، الإمام مالك –وهو من هو– يقول ما جلست في هذا المجلس –يعني حتى أُفتي– حتى شهد لي ثمانون عالمًا أنني أهلٌ للفتيا، ثمانون عالمًا شهدوا للإمام مالك قالوا له أنت الآن لك أن تُفتي، أين الآن؟!، من سيشهد لنا بأننا أهلٌ للفتوى، وفي شهرٍ أو شهرين، أو سنةٍ أو سنتين، وأحدنا ربما لا يحسن أن يقرأ سورة الفاتحة، وأن يميز بين الواجب وبين المستحب، وبين المكروه وبين الحرام، فعليكم أن تتقوا الله –سبحانه وتعالى– لا أريد أن أسمع شخصًا منكم خرج من هنا وتصدَّر المجالس، وأصبح يقول هذا حلال وهذا حرام، نعم؛ لك أن تقول الذي درسته هو هذا، أما أن تُفتي في المجالس وفي المسائل العينيَّة، يأتيك شخصٌ ويستفتيك

وتقول له هذا جائز وهذا محرمٌ وهذا مكروه، هذا غير مقبولٍ شرعًا وكذلك لا نرتضيه في أخلاقنا وفي تربيتنا، فتنبهوا لهذا الأمر وهذا من أكثر الأمور التي أريدكم أن تحرصوا عليها، فهمتم هذا جيدًا؟ نعم.

إذًا هذه الأمور التي أحببت أن أنبِّه عليها، ثم مما نستفيده في مثل هذه الدورات –وإن كانت مختصرة– أن نعرف قدر العلماء ومنزلتهم ومكانتهم، العلماء هم كالشمس في رابعة النهار إذا وُجدوا استطاع الناس أن يعيشوا عيشةً صالحة، واستطاعوا أن يتصرفوا في حياتهم تصرفًا طبيعيًا، وإذا غابت الشمس ماذا سيحصل؟ ما الذي سيحل بالناس؟، الظلام؛ الظلام هو الجهل والعماية والغواية والبدعة وغير ذلك من الضلالات، فالعلماء نعرف قدرهم بمثل هذه الدورات.

أنت إذا اجتهدت لمدة شهرٍ واحد في الحفظ والتكرار والمراجعة والمدارسة والاستشكال وغير ذلك، وجدت نفسك بذلت جهدًا حتى تحصَّلت على قدرٍ أو جزءٍ بسيطٍ جدًا لا يُذكر من العلم، ومع ذلك تفرح بما آتاك الله –سبحانه وتعالى–، فكيف بعالمٍ قضى عمره كاملًا وهو مجتهدٌ في طلب العلم، وفي تعليم الناس، وفي الصبر على المراجعة، والصبر على الفتوى، والدعوة إلى الله –عز وجل– وغير ذلك، أين أنت من هذا؟!، فلا نريد أن نجعل مجالسنا لمماراة السفهاء ولا لمجاراة العلماء، وإنما نريد أن نعرف قدر هؤلاء العلماء الصالحين، الذين يخشون الله ويبلغون رسالاته ولا يخشون أحدًا سواه. فهمتم؟ هذا لا بد أن تتنبهوا له، إذا رأيت عالمًا صالحًا يخشى الله –عز وجل– فاعرف قدره، وتذكر أنك صبرت شهرًا أو شهرين في طلب العلم ووجدت أن الأمر يحتاج إلى جلدٍ وإلى مصابرة وإلى مراجعة حتى لا يضيع ما عندك من العلم، فكيف بهذا العالم الذي ربما قضى عمره كله في هذا الأمر، هذا يجعلك تعرف قدر الناس وتعرف منازلهم وما يستحقونه من التعظيم والتوقير والتبجيل.

والعلماء –كما قلنا– الله سبحانه وتعالى أشركهم في شهادته على وحدانيته، أعظم شهادةٍ على الإطلاق، على أعظم شيء على الإطلاق، {شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالمَلَائِكَةُ وَأُولُو العِلْمِ قَائِمًا بِالقِسْطِ}{عمران:18}، شأن العلماء كبيرٌ جدًا ولو زلوا ولو أخطؤوا فالله –سبحانه وتعالى– لم يخلق خلقه البشر معصومين من الخطأ، من قال أن الإنسان لا يخطئ!! من قال أن الإنسان لا يصيبه شئٌ من الهوى أحيانًا يأخذه يمينًا أو شمالًا!! ولكن نحن قواعدنا في دين الإسلام أن الحسنات يذهبن السيئات وليس أن السيئات يذهبن الحسنات، لا نأتي إلى عالم بذل جهده وعمره في الدعوة إلى الله –عز وجل– وفي تعليم الناس وفي تفقيههم ثم أخطأ أو زل في مسألةٍ أو مسألتين فنسبه او نشتمه ونمسح كل حسناته هذه، هذا ليس ميزان الشرع هذا ميزان الهوى، ونحن لسنا من أهل الأهواء {اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى} {المائدة:8} هذا هو ميزان الشرع. فهمتم هذه المسألة الثالثة؟

والمسألة الرابعة والأخيرة, أن الله –سبحانه وتعالى– فتح لكم باب طلب العلم، ووجدتم لذة طلب العلم، ولذة الصبر على طلب العلم والتفرغ لطلب العلم, فما دام الله فتح لك هذا الباب فتوكل على الله وواصل هذا الطريق بما تستطيع، بدلًا من أن تقضي جزءاً من يومك أو من عمرك في سماع الأناشيد التي لا تسمن ولا تغني من جوع فاقضها في سماع محاضرةٍ أو درسٍ أو سماع شريط للفتاوى أو مراجعة لدروسك أو مدارسة مع أحد زملائك وإذا تيسرت دورة أخرى بإذن الله حاول أن تجتهد في أن تكون فيها لأن العلم إنما يُؤتى بالدرجات ولا يُؤتى العلم يومًا واحدًا ولا دفعةً واحدة {يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ} {المجادلة:11}

والأمر الأخير هو أن تجتهد في دعاء الله –عز وجل– أن يبارك لك فيما أعطاك، العلم ليس بكثرة المحفوظات ولا بكثرة المتون، فكم من الذين تجدهم كالموسوعة .. كمبيوتر .. من أين ما تخاطبه يرد عليك ولكن الله لم يبارك في علمه، بينما تجد شخصًا علمه متواضعٌ قليلٌ ولكنه جمع معه الإخلاص والتضرع لله –عز وجل– .. كما أُمر أن يطلب الله أن يزيده من العلم.

نسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، ونسأل الله –عز وجل– أن يجعلنا ممن ينتفع بعلمه، ونعوذ بالله من فتنة القول والعمل، إنه سميعٌ قريب.

والآن –إن شاء الله– نبدأ في مراجعة الأحاديث، نبدأ من اليمين إن شاء الله، ثم بعد ذلك نستمع إلى قراءة من كتاب الله عز وجل.